من القيم الجاهلية التي اقرها الاسلام
(دراسة وصفيّة استقرائية)

إعـــداد

د . زينب السيد فكي

أستاذ مساعد- مجمع اللغة العربية بالخرطوم

مقدمة.

الحمد لله، نثني عليه ثناءً كثيراً، ولا نحصي ثناء عليه، كما أثنى هو على نفسه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، اللهم، اهدنا سبيلِ الرشاد، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدٍﷺ ، المبعوث رحمة للعباد، الشافع المشفع يوم التناد، أشرف خلق الله من ملائكته والعباد، القائل: "أنا أفصح العرب؛ بيد أنِّي من قريش"، وبعد:

فإنه لا ريب أن كل أمة من الأمم التي على وجه الأرض –تختزن في وجدانها مفاهيم اجتماعية، تتوافق مع درجة تطور هذه الأمة، ومع العصر الذي تعيش فيه، والأمة العربية واحدة من الأمم، التي أفرز عصرها الجاهلي بطبيعته البدوية مجموعة من القيم، التي تمسك بها العربي، ودافع عنها، بل كانت الناظم لحياته، ولعلاقته مع الآخرين.

ولكي تكون القيم مفهومة، يجب أن يُنْظَر إليها من زاوية العصر، الذي عاشت فيه، وليس من زاوية عصر آخر، أكثر تطوراً، وليس ضروريا أن تمثل القيمة التي يتمسك بها مجتمع ما، ويعتبرها إيجابية، قيمة محمودة في مجتمع آخر، ولكن يمكن الحكم على القيم والمثل من منظور القيم الإنسانية الثابتة والمطلقة، فليس ثمة أحد لا يُقَدِّرُ الكرم، والنجدة، والشجاعة، والمجاهرة بالحق، أو لا يرفض الظلم والغدر.

وطالما أن القيمة تختلف من عصر لآخر، ومن أمة لأخرى، فإننا نستطيع القول أن القيم، التي سادت في المجتمع العربي، البدوي، الجاهلي، تنقسم إلى مجموعتين: هما مجموعة القيم الإيجابية، ومجموعة القيم السلبية، ولم يكن العربي الجاهلي يستطيع أن

يُميِّز بوضوح بين إيجابية أو سلبية تلك المفاهيم والقيم، التي يدافع عنها، بل كان يأخذها كما هي، جملة واحدة. ويعتبرها قواعد مميزة لشخصيته.

ولكن رغم ذلك، فقد نبغ من بين الجاهليين حكماء ورؤساء، كانوا قادرين على تَلَمُّس الحد الأدنى بين السيئ والجيد في منظومة المُثُل المُتَّبَعة، أمثال ورقة بن نوفل،[١] وقُس بن ساعدة،[٢] وحاتم الطائي،[٣] وابن جدعان،[٤] وغيرهم كُثُر، ممن أخذوا من قيم وعادات المجتمع الجاهلي أفضل ما فيه، وتركوا ما سواها، من ذات القيم. وقد جاء ديننا الإسلامي الحنيف مثبتا ما وافق شريعته من قيم المجتمع الجاهلي، وتاركًا ما لم يوافق الشريعة السمحاء.

إذن، فالمجتمع الجاهلي -على الرغم من بُعْده عن الدين الإسلامي- لم يكن خِلْوًا من إضاءاتٍ من الفضائل، في ظلماتٍ من الرذائل، بعضها فوق بعض؛ فمجتمعُ الخوف والدم والرُّعب لم يخلُ من الشجاعة والشهامة، والنَّجدة، وآداب الفروسية، حتى عند كثير من صعاليك العرَب، ومجتمع الجفاف والقحط لم يخلُ من الكرم والاعتزاز بالضيف، ومجتمع الميسر والأزلام والخمر لم يخلُ من رجال حرَّموا على أنفسهم الخمر في الجاهلية؛ لأن الأحمق هو الذي يستُرُ عقله بيده.

ولقد كان المجتمع الجاهلي مجتمعًا من المتناقضات المتضاربة، والتناقض كان بيِّنًا غيرَ خفي بين كثرة تسير في طريق النور، وقلة لم تعرف الحد الأدنى من الفضائل الإنسانية، ولكن كثيرًا من الفضلاء في هذا المجتمع الجاهلي لم يكونوا أسوياءَ على طول

الخط؛ فظهر التناقض في قائمة القِيَم الواحدة، في الشخصية الواحدة، قبل أن يسريَ نور الإسلام إلى هذه النفوس؛ فيغسل قلوبَها، وينقي أعماقَها من جذور الشرك.

فعبد الله بن جُدعان، الرجل الذي دخَل التاريخ من أوسع أبوابه، وعقَد حلف الفضول في بيته، حلف النجدة، ومناصرة المظلوم الضعيف، الحِلف الذي قال عنه النبي ﷺ بعد أن بعثه الله نبيًّا ورسولاً: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حِلفًا، ما أحب أن لي به حُمْر النَّعَم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجَبْتُ"،(٥) وهو الرجل الذي قالت عنه عائشة: "كان في الجاهلية يصل الرَّحِم، ويطعم المسكين"،(٦) هذا الرجل الشَّهم الكريم القوي الشجاع، استحل لنفسه أن يكون نخاسًا يُتاجِر في أحط تجارة، وهي الأعراض؛ فكان له ستُّ جوارٍ يَزْنين ويبيع أولادهن(٧).

وأرجو أن يكون هذا العمل لبنة لبحث أشمل. وهذا فإن وفقت فمن الله وحده وإن كان غيره فمن نفسي ومن الشيطان، وبالله التوفيق.

المبحث الأول: العادات المجتمعية التى أقرها الإسلام.

أولا- الصدق والوفاء بالعهد

الصدق والوفاء في اللغة.

أولا- الصدق ضدُّ الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقًا وصِدْقًا وتَصْداقًا، وصَدَّقه: قَبِل قولَه، وصدَقَه الحديث: أَنبأَه بالصِّدْق، ولقب أبوبكر ﷺ بالصديق لتصديقه لمحمد ﷺ[٨].

ثانيا- الوفاء هو الخلق الشريف العالي الرفيع[٩]، وفى الشيء يفي وفاء، ووفياً : تم. يقال: وفى ريش الجناح والشيء وفياً : كثر. وفلان نذره وفاء: أداه وعمل به. وأوفى بالوعد والعهد : وفى. ووافى: فاجأه. ووفى فلاناً حقه: أوفاه إياه. والوفي: التام والكثير الوفاء، وجمعها أوفياء[١٠].

الصدق والوفاء في الاصطلاح.

أولا- الصدق هو الخبر عن الشيء على ما هو به، وهو نقيض الكذب.

ثانيا- الوفاء قال الجرجاني: "إن الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء." وقال الغزّالي إن الوفاء هو: "الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه أو هو: أداء الحق"[١١]. والوفاء هو تلك الصفة التي يتمتع بها أهل الذوق السليم والطبع الكريم. صفة كريمة يشعر بها المرء دون أن يدركها إدراكا مادياً.

فقد يرى الناظر للوهلة الأولى بُعْد المعنى الاصطلاحي للوفاء عن المعنى اللغوي ولكن عند التدقيق يخلَص إلى أن المعنى الاصطلاحي ما هو إلا نتيجة للمعنى اللغوي؛ فكافة التعاريف اللغوية للوفاء تدور حول الخلق العظيم الدال على التمام والكمال.

وبالنسبة لجمع البحث بين الوفاء والصدق في قيمة واحدة؛ فقد جرى ذكرهما مقترنين، ومن السابقين من جعل أحدهما أصلاً للآخر، من ذلك قولهم عن الوفاء هو خصلة اجتماعية خلقية، تتمثل في التفاني من أجل قضية ما، أو شيء ما بصدق خالص، والوفاء أصل الصدق. والوفاء صدق في القول والفعل معاً، والوفاء يلزم القيم السامية والمثلى للإنسان، فمن فُقد عنده الوفاء، فقد انسلخ من إنسانيته، وقد جعل الله الوفاء قواماً لصلاح أمور الناس.

مكانة الصدق عند الجاهليين:

أولا- حين سئل أبو سفيان، قبل إسلامه عن أخلاق الرسول ﷺ من قِبَل هرقل، أجاب بصدق وأمانه، مع عداوته آنذاك للرسول ﷺ، ذكر البخاري -رحمه الله- في صحيحه قصة أبي سفيان مع هرقل، والتي ألقى فيها هرقل على أبي سفيان عدداً من الأسئلة تتعلّق بالنبي ﷺ، وكانت أسئلة دقيقة ومختصرة، وبعد أن أكمل أسئلته بدأ يطابق إجابات أبي سفيان بما عنده من علم بصفات الأنبياء؛ فوجدها تنطق بنبوة محمد ورسالته.

ولم يخل المجتمع الجاهلي كذلك من صِدق مع النفس، وصدق مع الآخرين، وتحرُّج من الكذب والمَيْن؛ فأبو سفيان على كفره يستنكف أن يكذب، ويمنَعه الحياء من الكذب، فيصور ما عليه النبي ﷺ، وطبيعة دعوته دون أن يَمِين، على الرغم من أن الرجل ما زال على الكفرِ وعبادة الأصنام. ووثّق الجاهليون نفورهم من الغدر وفخرهم بالوفاء في أشعارهم كما يقول قرطبة بن محصن:

أَسُمَيَّ ويحكِ هل سمعتِ بغَدْرةٍ رُفع اللواءُ لنا بها في مجمعِ
إنا نَعُفُّ ،فلا تُريبُ حليفَنا ونَكُفُّ شُحَّ نفوسِنا في المطمعِ

ارتباط الإسلام بالصدق والوفاء بالعهد.

إن الحديث عن ارتباط الإسلام بالصدق، والوفاء، كالحديث عن فائدة ضوء الشمس التى لا ينكرها إلا جاحد، ومكابر، ولكن على سبيل المثال لا الحصر، فإن الدين الإسلامي تحدَّث عن الوفاء بالعهد، في محكم تنزيله ومنهاجه، لا في آية، ولا في آيتين، بل فيما يربو على ثلاثين آية، وفي هذه الكثرة ما يؤكد أهمية الوفاء، ومكانته في الدين الإسلامي.

وسنعرض نماذج من هذه الآيات فيما يلى: النموذج الأول في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، (المائدة :١) ، وهذا أمر ربانيٌ صريح ملزم لكافة المؤمنين، ثم أكد هذا الأمر بقوله تعالى في النموذج الثاني: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (البقرة : ١٧٧) ، ثم ربط الوفاء بالعهود بالجزاء الحسن في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(المؤمنون: ٨)، مع لهجة تحذيرية، أما في النموذج الثالث، فقد جعل الوفاء بالعهد سمةً من سمات المؤمنين الحقة، في قوله تعالى:﴿والذين هم لأمنتهم وعهدهم راعون﴾ (المعارج: ٣.)، وورد ذكر الوفاء مقروناً بأركان الإسلام كالصلاة والزكاة، وفي هذا دلالة واضحة على أهمية الوفاء بالعهد عند المسلمين.

وفي النموذج الرابع بيَّن أن الوفاء من صفة الأنبياء والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(إبراهيم: ٥٤)، وقوله أيضا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾(الفتح:١٠)، وفي النموذج الأخير حث على التخلق بخلق الوفاء لأنه من الأمور التى لم يحدد جزاءها لعظمتها، كنهج المولى ﷻ فقد ترك عبادات كالصيام دون بيان جزاءها دليل على عظمة هذا الجزاء؛ وذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيما﴾(الفتح:١٠). هذه بعض الآيات التي وردت في الوفاء بالعهد وبالعقد وبالوعد.

وتلك صور عن مكانة الصدق، في إرساء الدين الحنيف. الصورة الأولى لُقّب المصطفى بالصادق الأمين وهذه الشهادة على لسان أعدائه من المشركين، الصورة الثانية قوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (النحل: ١٠٥)، الصورة الثالثة قول المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه في الحديث الشريف: " ... قيل: يا رسول الله، المؤمن يكون جبانا؟ قال: نعم، قيل: يكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: يكون كذابا؟ قال: لا."[١٢] ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا على الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء. ولابن أبي الدنيا في الصمت أيضا عن حسان بن عطية قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: "لا تجد المؤمن كذابا" [١٣].

إذن، فقد بيَّنّا مكانة الصدق، والوفاء بالعهد، في الدين الإسلامي آنفا، تلك المكانة التى اعتمدت أقوى أسلوبين في تثبيت هاتين القيمتين وتَمَكُّنِهما لدى المسلمين، فأسلوب الوفاء كان بالأمر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(المائدة:٧١)، أما أسلوب الصدق، فكان بالنهي عن نقيضه، وهو الكذب.

ولم يُكْتف بالنهى فقط، بل جُرِّد الكاذب من صفة الإيمان، كما أوردنا في حديث المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ولأسلوبي النهي والأمر دلالتهم الفقهية وحكمهما الوجوب. كما لا يخفى على فطنتكم ما حوته الآيات من التدرج في الحكم بوجوب الوفاء وهذا من هدى الشريعة الإسلامية.

ثانيا- الكرم في العصر الجاهلي.

لقد تَميَّز العرب بإكرام الضيف، وتاهوا بهذه المكرمة، وافتخروا بها على الأمم، ولا توجد خصلة عندهم، تفوق خصلة الكرم، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية، وما فيها من إجداب وإمحال، حيث كان العرب يعيشون في بادية، شحيحة بالزاد، وحياتهم ترحال وتجوال، وكل واحد منهم معرض لأن ينفد زاده، فليس في البادية ملجأ يلجأ الفرد إليه غير الخيام المضروبة هنا وهناك، والتي تعتبر قوارب النجاة، والعرف أن الضيافة ثلاثة أيام، وثلاث ليال، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة إلا إذا جدد المضيف وزاد عليها[١٤].

الكرم في اللغة.

كرم بفتح الأول وضم الثاني كرُمَ يَكرُم، كَرَمًا وكرامةً فهو كريم والجمع: كِرامٌ، وكُرَماءُ وهي كريمة والجمع كرائم، وكَرُمَ الْجَوْهَرُ: كَانَ نَفِيساً، ثَمِيناً، كَرُمَ الرَّجُلُ: جَادَ، كَانَ جَوَاداً، كَرِيماً، كَرُمَ الشَّيْخُ: نَبُلَ، عَزَّ، كَرُمَ عَلَيْنَا: أَعْطَى عَنْ طِيبِ خَاطِرٍ وَجَادَ عَلَيْنَا، كَرُمَ السَّحَابُ: جَاءَ بِالْمَطَرِ الغَزِيرِ كَرُمَتِ الأَرْضُ: زَكَا نَبَاتُهَا، كَرُمَ فلان يَكرُم كَرَمًا، وكَرَامة: أعطى بسهولة وجاد، كَرُمَ: ضدُّ لؤُمَ[١٥].

الكرم في الاصطلاح.

اختلف اللغويون في التفسير الاصطلاحي لمفردة الكرم ولذلك سأورد التعاريف بنصها، قال الجرجاني: "الكَرَم: هو الإعطاء بسهولة، وقال المناويُّ: الكرم: إفادة ما ينبغي، لا لغرض." وقال القاضي عياض: "أما الجود والكرم والسخاء والسماحة، ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق، فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب نفس، فيما يعظم خطره ونفعه".

لم أورد هذه التعاريف بهذا الترتيب إلا لموافقتها ما أرمي إليه من أن الكرم هو الإعطاء بسهولة، بشرط انتفاء الغرض والمصلحة، وربط سهولة العطاء بالرضى التام وأخيرا، لا بد أن يكون هذا العطاء فيما يعظم خطره ونفعه للمُعطى، وبذلك يصبح التعريف المنتخب للكرم: هو الإعطاء بسهولة وطيب نفس فيما يعظم وقعه عند المُعطى والمُعطي وهذا دون مصلحة أو غرض يستفيده المُعطي.

دواعي الكرم عند الجاهليين.

تنقسم دواعي الكرم عند الجاهليين إلى ثلاثة أسباب، السبب الأول: السيرة الحسنة، فقد كان العرب يكرمون الضيف لكلفهم بحسن الأحدوثة، وطيب الثناء، ولأنهم ذوو أريحية، تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج، وإطعام الجائع. وكان المال وسيلة عندهم لا غاية، وسيلة إلى كسب المحامد. السبب الثاني: ارتباط السيادة بالكرم والبذل، فقد كان الكرم وسيلة هامة من وسائل السيادة. وفي هذا المنحى يقول حاتم الطائي:

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا[١٦]

والسبب الثالث- الخوف من وصمة البخل وعاره، فالعربي ينكر البخل، ويراه مزريًا بأخلاق الرجال، وواضعًا من عوالي الصفات، ومنقصة ما بعدها منقصة من ذلك قصيدة عمرو بن الأهتم يدعو زوجته لأن تدع لومه لبذله المال، فهو يشفق على الحسب الذي رفع بناءه، أن يتحطّم بعار البخل، في قوله

ذريني فإن البخلَ يا أمَ هيثم لصالح أخلاق الرجال شروق

ذريني وحطي في هواي فإنني على الحسب الزاكي الرفيع شفيق(١٧)

أنواع الكرم عند الجاهليين:

وهذا باب واسع لا يمكننا الإحاطة به ووصفه، لكن سنقف عند أهم أنواع الكرم عند الجاهليين، فقد قسم الجاهليون الكرم إلى شقين أساسيين يُكمِل كل منهما الآخر.

الشق الأول- البشاشة والطلاقة والبشر.

بالغ العرب في الحفاوة بالضيف والتعهد له وتفننوا في إكرامه، وإدخال السرور عليه بكافة الوسائل من بسط الوجه له، والترحيب به ساعة قدومه، حتى قبل معرفته من ذلك قول عمرو بن الأهتم:

وضاحكته من قبل عرفاني اسمه ليأنس إني للكسير رفق(١٨)

ولم يكتفوا بذلك، بل كانوا لا ينشغلون عن الضيف بتاتا، وكانوا يطيلون الحديث عند المؤاكلة حتى يفرغ الضيف من الطعام تماما، وهذه الخلال جمعها عروة بن الورد في قوله:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحادثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع(١٩)

الشق الثاني– تقديم أطيب الطعام ابتداء من الصبوح حتى النحر وإيلام الولائم.

قال ﷺ في قرى الضيف: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(٢٠).

موقف الإسلام من الكرم.

جاء الإسلام فأقر هذا الخلق الكريم، وشجع على البذل والسخاء، وحث على إكرام الضيف، إلا أنه جعل إخلاص النية لرب العالمين يرتفع بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة متقبلة. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُم جَزَاءً ولا شُكُوراً﴾ (الإنسان: ٩).

وابتعد الإسلام في هديه عن المن والأذى والرياء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا لا تُبطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالمَنِّ والأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ولا يُؤمِنُ بِاللَّهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، حث الإسلام على البذل إلا أنه نهى عن الإسراف والتبذير ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخوَانَ الشَّيَاطِينِ وكَانَ الشَّيطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾(الإسراء: ٢٧).

ونفر من الشح وكنز الأموال، فقد روى البخاري في صحيحه: "ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه، فإذا فر منه سمع من يناديه: خذ كنزك الذي خبأت فأنا عنه غني، فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك يده في فمه فيقضمها قضم الفحل" (٢١)، وهذا تجسيم لهذه الأموال والكنوز المستخفية في الخزائن أشبه بالثعابين الكامنة في جحورها كأنها رصيد الأذى لأصحابها، بل إنها تتحول إلى حيات فعلاً تطارد صاحبها؛ لتقضم يده التي غلبها الشح، ومنع حق المسلمين فيها.(٢٢)

كرماء الرعيل الأول من المسلمين.

إن الجود والسخاء يتمثلان فيمن اصطفى الله من عباده كالنبيين والصديقين، وكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، ولذا فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو لا يملك (ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليداً، وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير)،[٢٣]وقد حث رسول الله أصحابه على الإنفاق في سبيل الله ورغبهم في السخاء، فكانوا يصدرون عن طبع أصيل وسجية محبة للخير.

وكان بذل الصحابة مضرب الأمثال، فقد أخرج الشيخان عن أنس ﷺ: أن أبا طلحة ﷺ تصدَّق بعين بَيْرُحاء وكانت مستقبلة المسجد، وكانت أحب أمواله إليه، وكان رسول الله يدخلها، ويشرب من مائها. قال أنس: "فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾(آل عمران :٩٢)، قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، وذكر الآية ثم قال: إن أحب أموالي إليّ بَيْرُحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها -يا رسول الله- حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله:(بخ،! ذلك مال رابح! ذلك مال رابح)[٢٤].

ولما نزلت الآية الكريمة: (مَن ذَا الَذِي يُقرِضُ اللَّهَ قَرضاً حَسَناً﴾(البقرة :٢٤٥)، قال أبو الدحداح ﷺ: يا رسول الله قد أقرضت ربي حائطي، وفيه ستمائة نخلة، فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها، فنادى يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي[٢٥].

وكان الجود والسخاء من أبرز صفات المؤمنين، طوال القرون واشتهر أجواد في الإسلام أنسوا الناس ذكر حاتم الطائي وابن سعدى وكعبة بن مامة[٢٦] وغيرهم مثل أجواد الحجاز الثلاثة: عبيد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن العاص[٢٧].

ثالثا- حق الجار ومبدأ الإجارة

الجار في اللغة.

للجوار في اللغة معانٍ مُتقارِبة ففي لسان العرب: منها وهو أسبَقُها إلى الذهنِ، وأشهَرُها في العرفِ مُجاوَرةُ الناس بعضهم لبعض، في سكن أو عمل، والجوار بهذا المعنى على درجات ومراتب، بعضُها ألصَقُ من بعض؛ وأدناها جوار الزوجة[٢٨].

الإجارة في الإصطلاح.

إجارة المستجير بتأمين مخافته، وإغاثة لهفتِه، حتى يبلغ مأمنه مطمئنًا وادعًا. مكانة الجار في الجاهلية.

كان الجاهليون يراعون حق الجار ويرونه فرضا ومفخرة، ومن أهم حقوق الجيرة عندهم حفظ الحرمات وصيانة الأعراض، نحو قول عنتره: [٢٩]

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها[٣٠]

كما كان الجاهليون يرون الجار من أهل الدار يشركونه في صغير أمرهم قبل كبيره، نحو قول مسكين الدارمي [٣١]:

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر

أعمي إذا جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر[٣٢]

وقال آخر :

اطلب لدارك جارا تجاوره لا تصلح الدار حتى يصلح الجار[٣٣]

الإجارة في الجاهلية.

كان العرب في الجاهلية يذبُّون عن الجوار، ويَمنعون مَنْ حالَفهم أو استَجار بهم، ممَّا يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وكانوا يقولون في معرض الفخر والثناء: فلانٌ منيع الجار، حامي الذِّمار؛ بَيْد أنهم كانوا يُسرِفون في حماية الجار إسرافًا جائرًا، يُجاوز حدود العدل والإحسان، ويطرح بهذه المنقبة الكريمة في متاهة العسف والعُدوان! كانوا يَبذُلون المُهَج والأرواح، ويشنُّون الحروب والغارات؛ انتصارًا لمن حالَف أو استجار، مُحقًّا كان أو مُبْطِلاً، ظالمًا كان أو عادلاً!

الإجارة في الإسلام.

فلمَّا جاء الإسلام بالهُدى والنُّور، والشفاء لما في الصُّدور، هذَّب أخلاقَهم، وأكمَلَ آدابهم، ونفى منها الخَبَث والرِّجْس كما يَنفي الكيرُ خبثَ الحديد، وأقرَّ فيما أقر من مكارم الأخلاق حُسْنَ الجوار، وحماية الذِّمارِ، في غير منٍّ ولا أذى، ولا بغي ولا عُدوان، بل فرض على الناس فيما فرض، أن ينصرَ كلٌّ منهم أخاه ظالمًا أو مظلومًا، فلمَّا عرَتْهم الدهشة من دعوتهم إلى نصر الظالم، بيَّن لهم بيانًا عجبًا لم يكن ليَخطُر لهم على بال؛ بيَّن لهم أن نصر الظالم ليس ما أَلِفُوهُ في الجاهلية الأولى، وإنما هو كفُّه عن الظلمِ، والأخذُ على يدَيه حتى يَرعَوِيَ، فذلك نصرٌ له أيُّ نصر على داعي الشهوة والهوى، والاعتِساف والطغيان!

النموذج الأول للإجارة في الإسلام.

كان النبيُّ ﷺ قد أهدر دم خمسة عشر رجلاً وامرأة، أمعنوا في الكيد للإسلام والإفساد في الأرض، لكن تداركتْهم إلا قليلاً منهم مع فظاعة جُرمِهم، نعمةُ الجوار في الإسلام، وشفاعة الصحب الكرام، عند من أرسله الله رحمة للعالمين، فرَّ من هؤلاء –

عدَّتُهم أحد عشر- جُعدة بن هُبيرة، ورجلٌ آخَر من أحماء أم هانئ وكلاهما من بني مخزوم.

فاستجارا بفاختة شقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهي من صاحبات الرأي الجَزْل، والأدب الجم، فلمَّا أسلمَت عام الفتح، فرَّق الإسلام بينَها وبين زوجها هُبيرةُ بنُ أبي وَهْب المخزومي، الذي هَربَ عند فتح مكة إلى نَجران مُشرِكًا، فما زال بها حتى مات، وأصغرهم هانئ كُنيت به.

فرّ هؤلاء فتوعَّدهم عليٌّ وأقسَمَ ليَقتلنَّهم؛ إنفاذًا لإيعاد النبيِّ ﷺ وجزاءً لما اجْتَرَحا من الحنث العظيم! لكن أخته أجارَتْهُما ومَنَعَتْهما منه، ثم ذهبَت تَشكوه إلى الرءوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه.(٣٤).

النموذج الثاني للإجارة في الإسلام.

زينب كُبرى بنات المصطفى ﷺ التي فرّق الإسلام بينها وبين زوجها وابن خالتها أبي العاص بن الربيع، وحاول كفار قريش أن يدفعوه إلى طلاقها، فامتنع وقال: والله، لا أفارق صاحبتي، ولا أُحبُّ أن لي بها امرأة من قريش، فهاجرت إلي المدينة وتركته كافرًا بمكة، حتى وقع أسيرًا أثناء قيادته لقافلة تجارية صادرها زيد بن حارثة وأتى بها إلى النبي ﷺ في السنة السادسة من الهجرة.

وهنا فرّ العاص واستجار بزوجه زينبَ التي طوَّقته بصنيعها للمرة الثانية؛ حيث سبق وافتدته، وهو أسيرٌ ببدر بقلادتها، التي حَلَّتها بها، ليلةَ عرسها أمُّها أم المؤمنين خديجة، فوعدته خيرًا، ثم نادت بعد صلاة الفجر: إني قد أجَرْتُ أبا العاص بنَ الربيع، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: "أيُّها الناس، هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم، قال: فوالذي نفسي بيده، ما علمتُ بشيءٍ ممَّا كان حتى سمعتُ الذي سمعتُم، المؤمنون يدٌ على مَن سِواهم، يُجير عليهم أدناهُم، وقد أجَرنا منْ أجارت" (٣٥).

ثم يعود إلى مكة فيؤدّي الحقوق إلى أهلها وكان من المعدودين في رجال مكة تجارة وأمانة ومالاً ويؤوبُ إلى المدينة مُسلمًا مُحسِنًا، فيردُّ عليه الرسول الأكرم ﷺ زوجه، ويُثني عليه ثناءً كريمًا.

رابعا- الشجاعة في الجاهلية

الشجاعة لغة هي: شدَّة القلب عند البأس، يقال: شجُع شجاعة: اشتد عند البأس[٣٦] والشَّجَاعَة اصطلاحًا هي: الإقدام على المكاره، والمهالك، عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والاستهانة بالموت،[٣٧] وقال ابن حزم: حد الشَّجَاعَة: بذل النفس للموت، عن الدين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال، والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء أقلَّ من يعارض أم كثر،[٣٨]

وأما عن الفرق بين الشجاعة والقوة، فالكثير من الناس تشتبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران، فإن الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش. وكان الصديق ﷺ أشجع الأمة بعد رسول الله ﷺ وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم، ويشجعهم[٣٩].

والفرق بين الشَّجَاعَة والجرأة أنَّ الشَّجَاعَة من القلب، وهي ثباته واستقراره عند المخاوف، وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن، فإنَّه متى ظن الظفر وساعده الصبر، ثبت، كما أنَّ الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر، فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر.

وأما الجرأة: فهي إقدام، سببه قلة المبالاة، وعدم النظر في العاقبة، بل تقدم النفس في غير موضع الإقدام معرضة عن ملاحظة العارض، فإمَّا عليها، وإمَّا لها،[٤٠]ولذلك فالشجاعة من القيم الجاهلية التى انتخبها الدين الإسلامي وبنى عليها دولته.

أسباب أهمية الشجاعة في الجاهلية:

أولا- البيئة الجاهلية المتكونة من صحراء قاحلة، موحشة، وطبيعة المجتمع الرعوي الراحل، أبدا متتبعا للكلاء والماء هذه الرحلات إلى المجهول، وما يكتنفها من مخاطر متنوعة نحو قطاع الطرق والوحوش والضياع وانتهاء الماء والطعام -توطن النفس على الشجاعة والثبات أمام كافة الأهوال،

ثانيا- الأعراف القبلية التى تقوم على الغزو والغارة فكم من نيام صبَّحهم الأعداء! فقتلوهم وأسرفوا في القتل، وساقوا النساء والأطفال سبايا.

ثالثا- الحروب المستمرة كحرب داحس والغبراء التى استمرت أربعين عاما متصلة.

كل هذه الأسباب مجتمعة جعلت الشجاعة في الجاهلية مفخرةً العربي، وحليته التي يتجمَّل بها، فقد ولدت الشجاعة مع البدوي وسرت في دمه؛ فقد سمع قعقعة السلاح طفلا وشهد المعارك يافعا، وسمع قصص البطولة وأيام العرب، ورأى أن الشجاعة والإقدام وسيلة إلى بلوغ المراتب العالية والصيت الحسن.

والشجاعة في المجتمع العربي البدوي أنواع، أرفعها وأسماها الموت بين طعن القنا وخفق البنود حتى لو كانت الشجاعة تدني من الأجل، بل من واجب الانسان أن يحبها حتى لو كان فيها حتفه، من ذلك قول السموءال[٤١]:

وإنا لقوم لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول[٤٢]

فالإقدام مطلوب. والحياة الذليلة مرفوضة. وفرار المحارب من واجبه أو من لقاء أعدائه هو موت له وعار عليه، بل سبب لابتعاد الناس عنه واحتقاره، ومن ذا الذي لا يستعيد بطولات عنترة وشجاعة حامي الظعينة وفتوة عمرو بن معدي كرب، بل لعل هذه الشجاعة العظيمة جرت مجرى الأساطير التي يتداولها الناس في أسمارهم ومجالسهم إلى يومنا هذا من ذلك قول طَرَفة مفتخرا بشجاعة قومه:

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة تلق السوابق فينا والمصلينا

إنا لمن معشر أفني أوائلنا قيل الكماة ألا أين المحامونا[٤٣]

المبحث الثاني: العادات الفردية التى أقرها الإسلام

أولا- إحياء الموءودات

ماهية الوأد لغة واصطلاحا.

وأد الموءودة في لغة العرب يعني: دفنها صغيرة في القبر وهي حية. واشتقاق ذلك من قولهم: "قد آدَهَا بالتراب" أي: أثقَلَها به[٤٤].

الوأد في الاصطلاح

يعني: التخلص من جنين حي ما؛ بسبب جنسه، ويتم الأمر في مناطق، يتم فيها تفضيل الأطفال الذكور على الإناث، وتتم هذه الممارسة حالياً في مناطق، تقوم فيها العادات والتقاليد والثقافة المحلية بتفضيل الذكور على الإناث. وهناك مجتمعات ما زال توجد بها هذه الظاهرة، مثل جمهورية الصين الشعبية، وكوريا، وتايوان، والهند، وهو مختلف عن الإجهاض؛ لأنه يحدث بعد اكتمال فترة الحمل كلها، وولادة الطفل عندما لا يكون الإجهاض متوفرا.

وقبل الحديث عن إحياء الموءودة لا بد لنا من إضاءة حول الوأد في الجاهلية، يقول د. محمد بلتاجي: "كان الأب الجاهلي يرى الأنثى تأكل، ولا تقاتل عن القبيلة، ويراها مصدرا لجلب العار له، حين تُؤسر من العدو فيفترشها آسرها عنوة واقتدارا أو طواعية واختيارا، فيعير الأب وقبيلته بها."[٤٥] وقال القرطبي: "إنه كان من العرب من يقتل ولده؛ خشية الإملاق، كما ذكر الله ﷻ في غير هذا الموضع. وكان منهم من يقتله سفهًا بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر، كانوا يقتلون بناتهم لأجل الحمية)[٤٦].

للوأد قسمان: القسم الأول- وأد الفقر وينبع من رغبة الجاهلي في التخلص من عبء تربية أبنائه ذكورا وإناثا بدون تخصيص جنس الموءودة. القسم الثاني- وأد العار وكان يقتصر على وأد البنات، الذي كانت تمارسه القبائل البارزة بالجزيرة العربية، كربيعة وكندة وطيء وتميم، نلاحظ أنه في القسمين السابقين تكون الأنثى هي الضحية؛ وبذلك فقد حرك القرآن الكريم الشعور بالذنب لدى المسلم عندما قال: ﴿وإذا الموءودة سُئلت بأي ذنب قتلت﴾(التكوير: ٨-٩).

هذا وقد حارب عقلاء الجاهليين هذا العرف الظالم، ولم يخلد لنا التاريخ سوى اسم صعصعة[٤٧] جد الفرزدق الذي لقب بمحيي الموءودة؛ وذلك لأنه كان يشتري كل موءودة من والدها بفحل وناقتين عشراوين، ولا أحد يعلم كم اشترى وكم أعتق، وقد أقر رسولنا الكريم فعل صعصعة، بل ذهب أبعد من ذلك؛ إذ رغبه في الثوب على هذا الفعل العظيم إن أسلم، وهذا ما اختلف حوله المؤرخون، فمنهم من قال بإسلامه، ومنهم من قال بوفاته على الشرك، والراجح إسلام صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المعروف، الذي فخر بصنيع جده في قوله:

وجدي الذي منع الوائدات وأحيى الوئيد فلم توأدِ[٤٨]

وقوله أيضا:

ومنّا الذي أحيا الوئيد وغالبٌ وعمرٌو ومنّا حاجبٌ والأقارعُ[٤٩]

أما قصة إحياء صعصعة للموءودات، فقد أوردها ابن الأثير ".... فقال: سأل صعصعة محمد ﷺ يا رسول الله، إني عملت أعمالاً في الجاهلية، فهل لي فيها من أجر؟ قال ﷺ: وما عملت؟ قلت: ضلت ناقتان لي عشراوان، فخرجت أبغيهما على جمل لي، فرُفع لي بيتان في فضاء من الأرض، فقصدت قصدهما، فوجدت في أحدهما شيخًا كبيرًا.

فبينما هو يخاطبني وأخاطبه إذ نادته امرأته: قد ولدت، قال: وما ولدتِ؟ قالت: جارية، قال: فادفنيها، فقلت: أنا أشتري منك روحها لا تقتلها· فاشتريتها بناقتي وولديهما والبعير الذي تحتي، وظهر الإسلام، وقد أحييت ثلاثمائة وستين موءودة، أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل، فهل لي من أجر؟ فقال رسول الله ﷺ: "هذا باب من البر، لك أجره إذْ مَنَّ الله عليك بالإسلام"[٥٠].

لم يكن صعصعة بن ناجية الوحيد الذي يحيي الموءودات في العصر الجاهلي، بل شاركه في هذه المكرمة زيد بن نفيل، ولم ينل حظه من الذكر؛ ربما لقلة من أحياهم ولكنني وجدته في صحيح البخاري، فقد أورد البخاريّ عن أسماءَ بنت أبي بكر قالت: "رأيتُ زيد بن عمرو بن نفيل، قائمًا مسندًا ظهرَه إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش، والله، ما منكم على دِين إبراهيم غيري، وكان يُحيي الموءودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتُلَ ابنته:

لا تقتُلْها أنا أكفيك مؤونتها؛ فيأخذها، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئتَ دفعتُها إليك، وإن شئتَ كفيتُك مَؤونتها)[٥١].

موقف الإسلام من الوأد.

حرم الدين الإسلامي الحنيف الوأد تحريما صريحا، لا جدال فيه، وأنزل هذا التحريم في ثلاثة نصوص قرآنية، النص الأول قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(الأنعام: ١٥١.)، والنص الثاني قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾(الإسراء : ٣١)، والنص الثالث قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(الأنعام: ١٤٠.).

كما أدانت السنة النبوية قاتل بناته رغم إسلامه من ذلك ما يروي عن مجيء قيس بن عاصم إلى النبي محمد ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد وأدت بناتٍ لي، في الجاهلية فقال له: أعتق عن كل واحدة، منهن رقبة، فقال: يا رسول الله، إني صاحب إبل قال: فانحر عن كل واحدة منهن بدنة.

ثانيا- النحر وإيلام الولائم خاصة في الجدب.

كان المطعمون من السادة والقادة في المجتمع الجاهلي، وأشهرهم حاتم الطائي الذي كان مضرب المثل فيهم بالكرم، ومما يؤثر عنه في ذلك ما ذكره التنوخي في المستجاد قال: "إن رجلاً سأل حاتماً الطائي، فقال يا حاتم، هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم، غلام يتيم؛ وذلك أنى نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم؛ فعمد إلى رأس فذبحه وأصلح لحمه، وقدم إليّ وكان فيما قدم الدماغ، فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً بعد رأس ويقدم الدماغ، وأنا لا أعلم.

فلما رجعت لأرحل نظرت حول بيته دماً عظيماً، فإذا هو قد ذبح الغنم بأسرها، فقلت له: لم فعلت ذلك؟ قال يا سبحان الله! تستطيب شيئاً أملكه، وأبخل عليك به، إن ذلك لسبه على العرب قبيحة.

فقيل يا حاتم، فبماذا عوضته؟ قال: بثلاثمائة ناقة حمراء، وبخمسمائة رأس من الغنم. فقيل: أنت أكرم منه. قال: هيهات، بل هو والله، أكرم لأنه جاد بكل ما ملك، وأنا جُدتُّ بقليل من كثير، ولم يختص حاتم بالكرم وإطعام الطعام والنحر للأضياف، ولكنه بالغ فيه، من أمثلة هذه المبالغات قول حاتم لخادمه:

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر

إن جلبت ضيفا فأنت حر[٥٢]

وأيضا قوله لزوجه:

أيا ابنة عبد الله وابنةَ مالك ويا ابنةَ ذي البردين والفرس الورد

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له أكيلاً فإني لست آكله وحدي

أخاً طارقاً أو جارَ بيت فإنني أخاف مذماتِ الأحاديث من بعدي

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما فيَّ إلا تلك من شيمةِ العبد [٥٣]

ومن المبالغات في فضل حاتم، وبيان مدى كرمه، ما رواه المسعودي: "... أن رجلا يدعى أبا البختري فرّ، مذعورا ذات ليلة، فلما سئل قال: خرج حاتم من قبره بالسيف، وأنا أنظر حتى عقر ناقتي، فكذبه قومه، ثم نظروا إلى ناقته فرأوها مجدلة لا تتبعث، فعقروها وظلوا يأكلون من لحمها شواء وطبخا، وقالوا: قرانا حاتم حيا وميتا، حتى قال شاعرهم:

أبا البختري، لأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتّامها

أتيت بصحبك تبغي القرى لدى حفرة صدحت هامها

أتبغي لي الذّم عند المبيت وحولك طيي وأنعامها

وإذا برجل راكب بعيرا ويقود آخر، فدفع البعير إلى أبي البختري زاعما أن حاتم أهداه إليه قرى.

ومن الأجواد المشاهير في الجاهلية أيضاً عبد الله بن جدعان، وكانت له جفنة يأكل منها الراكب على بعيره، ووقع فيها صغير؛ فغرق، وذكر ابن قتيبة: أن رسول الله ﷺ قال: "لقد كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمَىً" أي وقت الظهيرة وذكروا أنه كان يطعم التمر والسويق، ويسقى اللبن حتى سمع قول أمية بن أبى الصلت:

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم فرأيت أكرمهم بنى الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم لا ما يعللنا بنو جدعان[٥٤]

فأرسل ابن جدعان إلى الشام ألفي بعير، تحمل البُرّ والشهد والسمن وجعل منادياً، ينادى كل ليلة على ظهر الكعبة أن هلموا إلى جفنه ابن جدعان فقال أمية في ذلك:

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق كعبتها ينادي
إلى ردح من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالشهاد[٥٥]

ومن المطعمين من قرن ولائمه بريح الصبا أو ريح الشمال، لأن هذه الريح أنما تهب في شدة البرد والجدب، وقلة الزاد، وعلى رأس هؤلاء لبيد بن أبي ربيعة[٥٦] الذي نذر في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا ثم واصل ذلك في إسلامه، وكانت له جفنتان بهما ويروح، في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم، ونزل لبيد الكوفة بعد أن كبر وساءت أحواله، وكان أميرها في ذلك الوقت هو الوليد بن عقبة، فبينما هو يخطب الناس يوم الجمعة، إذ هبت الصبا، فقال الوليد في خطبته على المنبر: قد علمتم حال أخيكم أبي

عقيل وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا وهذا يوم من أيامه، وقد هبت ريحه فأعينوه وأنا أول من يفعل، ثم انصرف الوليد فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات:

أرى الجزار يشحذ شفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل
أشم الأنف أصيد عامري طويل الباع كالسيف الصقيل
وفي ابن الجعفري بما نواه على العلات والمال القليل
بنحر الكوم إذ سحت إليه ذيول الصبا تجاذب بالأصيل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره عليها وقال: إني تركت الشعر منذ قرأت القرآن، ثم قال لابنته أجيبيه فلعمري، لقد عشت دهرا وما أعيا بجواب شاعر، فقالت الفتاة:

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوفودا
فعد إن الكريم له معاد وظني بابن أروى أن يعودا[٥٧]

ثالثا- مشاطرة المال أو الإخاء.

الإخاء في اللغة، والأخ من النسب والنسب ثلاثة. النوع الأول- أنواع النسب القريب كنسب الأخ من الأب، النوع الثاني- النسب البعيد كانتساب البشرية إلى آدم عليه السلام، النوع الثالث- النسب إلى قوم كقوله تعالى: ﴿ وإلى عاد أخاهم هود﴾(الأعراف: ٦٥) وقد تطلق على الصديق والصاحب وكل من اشتركوا في مكان واحد أو صفة واحدة، ومنها أخوّة الدين لقوله تعالى: ﴿ فإخوانكم في الدين﴾(التوبة: ١١)[٥٨].

الأخوّة في الاصطلاح.

هي الرباط الوثيق بين اثنين فأكثر، يجمعهم سبب من نسب، أو صداقة، أو شراكة، أو معتقد ديني، أو دنيوي.

الأخوة الدينية هي: رباط يقوم على منهج الله، ينبثق من التقوى، ويرتكز على الاعتصام بحبل الله، فهي رباط إيماني، إذ لا أخوّة بدون رباط إيماني أو تقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(الحجرات: ١٠). فبالأخوة الإيمانية تزول العصبيات الجاهلية، والفوارق المادية من حسب أو نسب، أو جاه، أو غنى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات: ١٣).

وهدفها التعاون على الخير، فالتعاون مظهر كريم من مظاهر الأخوة، وهدف كبير من أهدافها، كما أمر بذلك الحق -تبارك وتعالى-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢). وقد صوّر الرسول ﷺ الأخوّة بأروع معنى عرفه الإنسان

فقال: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ومما تتميز به الأخوة الإيمانية الاتصال والاستمرار، فهي متصلة مستمرة لا يقطعها غنى ولا فقر، ولا مرض ولا موت، ففي عرصات الحشر تنقطع الوشائج إلا وشائج الأخوة الإيمانية، لقوله تعالى: ﴿الأَخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا الْمُتَّقِينَ﴾(الزخرف: ٦٧). ويستمر عقد الأخوة إلى الآخرة، حيث لا يرى بعض أهل الجنة إخوانهم الذين كانوا معهم في الدنيا، فيسألون ربهم ﷻ عنهم، وقد صوّر النبي ﷺ ذلك الموقف بقوله: (مَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَحُجُّونَ مَعَنَا فَأَدْخَلْتَهُمْ النَّارَ! قَالَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، قَالَ: فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ أَمَرْتَنَا قَالَ وَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنْ الإِيمَانِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ).

فإن أخوّة لها هذا المقام عند الله، ومحبة لها ذلك الفضل في الدنيا والآخرة حَرِيَّةٌ بأن يحرص عليها، وأن يفي بحقوقها، ويسعى للاستزادة منها: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(الحشر: ١٠.). إن الأخوة في الله منزلة عظيمة تصفي النفوس، وتجمع القلوب.

وإنَّ مِن أصول الدّين أخوّةَ الإسلام، فأخوّةُ الإسلام رابطةٌ متينَة ودرع حصينَة ونُصرة مبينة، أخوّةُ الإسلام بها يتواصَل المسلمون، وبها يتناصرون ويقوّون، وبها يتراحمون ويتعاطَفون، وبها يتوارَثون، وبها يتعاوَنون، وبها يتناصَحون.

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا وَلا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[٥٩].ومن عنايةِ الله العظمى بأخوَّة الإسلام أنَّ الله أمر بالإصلاحِ بين المسلمين إذا شجَر بينَهم خلافٌ والقضاءِ على النزاعِ الذي يقع بينَهم بالعدل والحقِّ والقِسط، ومن بغى واعتدَى على الأخوَّةِ الإسلاميّة أمَر الله مَن له قدرةٌ أن يقاتِلَه بقدر ما يندَفِع به بغيُه وعدوانه حتى يرجعَ إلى حكم الله تعالى.

ويدخلَ في حِصن الأخوة الإسلاميّة، قال الله تَعالى: وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِين (الحجرات: ٩)

ولِعِظَم أمر الأخوَّة الإسلاميّة، آخَى النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار أخوَّةً عامّة وأخوَّةً خاصّة، فكان يؤاخِي بين المهاجرِ والأنصاريّ أوّلَ قدومِه إلى المدينة النبويّة، وكانوا يتوارثون بهذه الأخوَّة الإيمانيّة، ثم نُسِخَ التوارث بالأخوّة الإسلاميّة؛ فصار التوارُث بالقرابة، وأخبرَ النبيّ ﷺ أنَّ كمالَ الإيمان بأن يحبَّ المسلم لأخيه ما يحبّ لنفسه، فقال: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[٦٠]

آثار الأخوة الدينية.

أولا- تقوم قاعدة الأخوة على أساس العقيدة الإسلامية، ثانيا- تؤكد أهمية التكافل الاجتماعي والتضامن بين أفراد المجتمع الإسلامي، ثالثا- تعمل على تحقيق التوازن الاقتصادي بين المسلمين.

النموذج الأول- مشاطرة صخر للخنساء.[٦١]

هذه المشاطرة بين أخوين جاهليين حفظها لنا التاريخ على لسان الخنساء الصحابية المخضرمة عند إجابتها للسيدة عائشة أم المؤمنين، التى نهتها عن لبس شعار الصوف وهي عادة تدل على شدة الحزن والحداد على فقد الأحبة، فقالت الخنساء لا أُكذبُ أخي صخر بعد موته، وأنشدت الرجز الذي رد به صخر على زوجه عندما لامته على مشاطرة ماله مع أخته الخنساء مرة تلو المرة فرد بقوله:

والله لا أمنحها شرارها وهي حصان قد كفتني عارها

إن مت قددت خمارها واتخذت من شعر صدارها[٦٢]

ثم قصّت الخنساء للسيدة عائشة أم المؤمنين كيف أنه تزوجت رجلا سخيا متلافا للمال؛ فأنفق مالها كله فذهبت إلى أخيها صخرا تخبره فقسم ماله نصفين وأعطاها النصف، فأنفقه زوجها فعادت إلى صخر فشاطرها مرارا دون تبرم ولا ضجر بل كان يخيرها بين الشطرين لتختار أفضلهما مما أغضب زوجة صخر فلامته.

كما أن هذا الحدث على رغم من تفرده في كتب التاريخ فهو يشي بوجود هذا النوع من الإيثار بين الأخوة، وهنا يبرز سؤال: لِمَ لَمْ نجد مثل هذه القصص في كتب التاريخ الجاهلي؟ وأظن أن السبب لا يخرج عن أحد أمرين اثنين، الأول كثرة هذه المشاطرة وشيوعها واعتياد الجاهليين عليها فلم يقفوا عندها، الأمر الثاني أن تلك المشاطرة تكون في الخفاء مراعاة لشعور المحتاج، وكلا السببين يعليان من القيم الجاهلية وهذا مناط بحثنا.

موقف الإسلام من المؤاخاة.

فالمؤاخاة أو الإخاء أو الأخوة من أروع القيم الإنسانية التي أرساها الإسلام للمحافظة على كيان المجتمع، وهي التي تجعل المجتمع وَحْدَةً متماسكة، وهي قيمة لم تُوجَدْ في أيِّ مجتمع؛ لا في القديم ولا في الحديث، وتعني: أن يعيش الناس في المجتمع متحابِّينَ، مترابطين، متناصرين، يجمعهم شعور أبناء الأسرة الواحدة، التي يُحِبُّ بعضها بعضًا، ويشدُّ بعضها أزر بعضٍ، يحسُّ كلٌّ منهما أن قوَّةَ أخيه قوَّةٌ له، وأن ضعفَه ضعفٌ له، وأنه قليل بنفسه كثيرٌ بإخوانه.

مكانة المؤاخاة في المجتمع الإسلامي.

قد تضافرت النصوص على مكانة المؤاخاة في المجتمع الإسلامي وأثرها في بناء المجتمع المسلم، كما حثَّتْ على كل ما من شأنه تقويتها، ونَهَتْ عن كل ما من شأنه أن ينال منها؛ فاجتمع وتآخى بذلك سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي مع إخوانهم العرب.

وها هو الرسول صلوات ربي وسلامه عليه يبدأ بعد هجرته إلى المدينة وبناء المسجد مباشرة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد سَجَّل القرآن الكريم هذه المؤاخاة التي ضربت المثل الرائع للحُبِّ والإيثار، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩.)

وقد امتثل المهاجرون والأنصار لهذه الأخوة برضى تام فخلدوا صورا مشرفة من الحُبِّ والإيثار منها الصورة التي يعرض فيه أخ أنصاري على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يُطَلِّقَهَا له! وهو ما رواه أنس بن مالك حيث قال: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المدينة فَآخَى النَّبِيُّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ(٦٣)

نتائج البحث:

إن أهم ما توصل إليه هذا البحث ما يلي:

أولا- أن المجتمع الجاهلي يزخر بالقيم والفضائل الرائعة، رغم أنه كان مجتمعا وثنيا.

ثانيا- للقيم الجاهلية نوعان نوع مجتمعي ينبع من النظام القبلي ولا يخرج منه أحد، ونوع فردي لم يستنكره المجتمع بل أيده وأثني عليه في مواضع كثيرة بينها آنفا.

ثالثا- أن الدين الإسلامي انتخب من هذه القيم الجاهلية ما وافق النهج الإسلامي، ومدح أصحاب القيم النبيلة سواء أكانوا من المخضرمين الذين أسلموا، أم من الذين ماتوا على الشرك .

رابعا- أن الأخلاق والفضائل موجود ما وجد الإنسان، لأنها فطرية بحتة.

الهوامش:

(١)/ هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد، زوجة النبي محمد حيث أن والده نوفل بن أسد هو أخ والدها خويلد بن أسد.

(٢)/ قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُفر بن إياد، وقيل: قُسُّ بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك بن ايدعان بن النمر بن وائلة بن الطمثان بن عوذ مناة بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن إياد.

(٣)/ هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن آل فاضل بن امرئ القيس بن عدي بن أخزم بن أبي أخزم هزومة بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي. ويكنى أبا سفانة وأبا عدي، وهو من قبيلة طيئ، وأمه عتبة بنت عفيف بن عمرو بن أخزم، وكانت ذات يسر وسخاء، حجز عليها إخوتها ومنعوها مالها خوفا من التبذير، نشأ ابنها حاتم على غرارها بالجود والكرم .ويعتبر أشهر العرب بالكرم والشهامة، ويعد مضرب المثل في الجود والكرم.زار الشام فتزوج ماوية بنت حجر الغسانية،وهو من أشهر الشعراء في عصر الجاهلية.

(٤)/ عبد الله بن جدعان التيمي القرشي الكناني هو أحد سادات قريش وسيد جميع كنانة في حرب الفجار ضد قيس عيلان، وكان معروف عنه الكرم والجود.

(٥) / السيرة النبوية، ابن هشام بتصرف،١٣٨/١.

(٦)/ صحيح مسلم ٤٨٩/١، (باب من مات على الكفر).

(٧)/ المرأة في الشعر الجاهلي، الحوفي ص ٣٩٩.

(٨)/ لسان العرب لابن منظور (٤/ ٧١٣)

(٩)/ المرجع السابق. (٤/ ٧١٤)

(١٠)/ مقاييس اللغة لابن فارس (١٢٢/٣)

(١١)/ لسان العرب لابن منظور (٢١٥/٢)

(١٢)/ الموطأ، الإمام مالك، (٢/٩٩٠)
(١٣)/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لـ الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني، ج٢، ص١٤٢.
(١٤)/ تاريخ العرب قبل الإسلام: د جواد علي ٤ / ٥٧٥.
(١٥)/لسان العرب لابن منظور (٤/ ٧١٣)
(١٦)/ ديوان حاتم: ط:بيروت، ص ٨.
(١٧) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، مؤسسة الرسالة، ص ٩٢
(١٨) الأشباه والنظائر ج٢، ص١٠٠.
(١٩) الديوان ص١٠١
(٢٠) البخاري، الفتح رقم ٥٦٧٢، كتاب الأدب، باب من كان يومن بالله واليوم الآخر.
(٢١)/ البخاري، الفتح رقم ٥٦٧٢.
(٢٢)/ شخصية المسلم: د محمد علي الهاشمي، ص ١٤٣-٢١٣.
(٢٣)/ مسند الإمام أحمد حديث ابن عباس ١ / ٣٠٠.
(٢٤)/ حياة الصحابة: ٢ / ١٥٧.
(٢٥) / المصدر السابق ٢ / ٦٢ ١، وقال الهيثمي ٩ / ٤ ٣٢: رواه أبو يعلى والطبراني
(٢٦)/ وكانا مضرب المثل في الجود، يقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

فما كعب بن مامة وابن سعدى بأجود منك يا عمر الجواد

(٢٧)/ بلوغ الأرب:١ / ٤ ٩ - ٩٩.
(٢٨)/ لسان العرب لابن منظور (٤/ ٧١٣)

(٢٩)/ عنترة بن شداد بن قراد العبسي ولد 525 م توفي 608 م (هو أحد أشهر شعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام، واشتهر بشعر الفروسية، وله معلقة مشهورة هو أشهر فرسان العرب، وشاعر المعلقات والمعروف بشعره الجميل وغزله العفيف بعبلة.

(٣٠)/ ديوان عنترة، ص٢١٤.

(٣١)/ مسكين الدارمي هو ربيعة بن عامر التميمي .وسُمّي الدارمي نسبة إلى دارم أحد أجداده. هو شاعر أموي.

(٣٢)/ تاريخ العرب قبل الإسلام: د جواد علي ٤ / ٥٧٥.

(٣٣)/ المرجع السابق٤ / ٥٧٧.

(٣٤)/ مسند الإمام أحمد، ج٦، ص٤٢٣.

(٣٥)/ المرجع السابق. ج٦، ص٤٢٤

(٣٦)/ لسان العرب لابن منظور (١٧٣/٨)، الصحاح للجوهري (١٢٣٥/٣)، مقاييس اللغة لابن فارس (٢٤٧/٣)، مختار الصحاح للرازي (ص ٣٥٤)

(٣٧)/ تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ ص ٢٧

(٣٨)/ الأخلاق والسير لابن حزم ص ٨٠.

(٣٩)/ الفروسية لابن القيم ص ٥٠٠.

(٤٠)/ الروح لابن القيم ص ٢٣٧- بتصرف

(٤١)/ السموءل بن غريض بن عاديا الأزدي، شاعر جاهلي يهودي حكيم واسمه معرب من الاسم العبري (عن العبرية شْمُوئِيل) שמואל) من شِيم : إسم، إيلْ: أي سمّاه الله)، عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، من سكان خيبر وكان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق وكان الأبلق قد بني من قبل جده عاديا، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

(٤٢)/ تاريخ العرب قبل الإسلام: د جواد علي ٢ / ٥٢٥.
(٤٣)/ شرح المعلقات السبع للزوزني، ص٤٥٢.
(٤٤)/ لسان العرب لابن منظور (١٧٣/٨)،
(٤٥)/ مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة ،الطبعة الأولى ٢٠٠٠. ص ٢٠
(٤٦)/ تاريخ العرب قبل الإسلام: د جواد علي ٤ / ٥٧٥.
(٤٧)/ هو:صعصعة بن ناجية بن عقال بن سفيان التميمي الدارمي.
(٤٨)/ ديوان الفرزدق، ص٢٧٢.
(٤٩)/ ديوان الفرزدق، ص٣٠٢.
(٥٠)/ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ج٣، ص٢١
(٥١)/ صحيح البخاري، ج٤، ص٢٣٣.
(٥٢)/ الحياة العربية في الشعر الجاهلي، ص٣١٦.
(٥٣)/ ديوان حاتم الطائي، ص ٣٤، ط بيروت ٦٣ ٩ ١ م، ونسبها المبرد إلى قيس بن عاصم المنقري في كتابه الكامل.
(٥٤)/ ديوان أمية بن الصلت، ص٣٣٥.
(٥٥)/ المرجع السابق. ص٣٣٦.
(٥٦)/ لبيد بن ربيعة العامري أحد أصحاب المعلقات السبع ولما ظهر الإسلام أسلم وحسن إسلامه، وبعد أن قرأ القرآن ترك الشعر؛ ولما سئل عن ذلك أجاب قائلا: لقد أبدلني الله خيرا منه وهو القرآن.
(٥٧)/ الحياة العربية في الشعر الجاهلي ص٣١٦.، بتصرف.

(٥٨)/ لسان العرب لابن منظور (٦٦/٢)،

(٥٩)/ صحيح البخاري، ج٤، ص٢٣٣.

(٦٠)/ صحيح البخاري، ج٢، ص١١٣.

(٦١)/ الخنساء واسمها تماضر بنت عمرو السلمية، صحابية وشاعرة مخضرمة من أهل نجد أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية اللذين قتلا في الجاهلية. لقبت بالخنساء بسبب ارتفاع أرنبتي أنفها.

(٦٢)/ ديوان الخنساء، دار الفكر بيروت، ص١١٣.

(٦٣) / صحيح البخاري، ج٣، ص٢١٣.

المصادر والمراجع:

١/ الأخلاق والسير،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، دار الكتب العلمية.
٢/ أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم، دار الكتب العلمية.
٣/ الأشباه والنظائر، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.
٤/ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي البغدادي، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري.
٥/ تهذيب الأخلاق، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار الجيل.
٦/ حياة الصحابة، محمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الأولى.
٧/ الحياة العربية في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
٨/ ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق د. سجيع جميل الجبيلي، دار العلم ببيروت.
٩/ ديوان حاتم الطائي، تحقيق حنا نصر الحتى، دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٤م.
١٠/ ديوان الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية.
١١/ الروح، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة.
١٢/ السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق عمر بن عبد السلام، دار الكتاب العربي سنة ١٤١٠هـ،الطبعة الثالثة .

١٣/ شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد بن علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية سنة ٢٠١٢م، الطبعة العاشرة.
١٤/ شرح المعلقات السبع، للحسين بن أحمد الزوزني، دار إحياء التراث العربي سنة ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى.
١٥/ تاج اللغة وصحاح العربية، أبو النصرإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن عبد الغفور، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية.
١٦/ الصحيح، عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار بن كثير.
١٧/ الفروسية المحمدية، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزيه، تحقيق زائد بن أحمد النشيري، دار الأندلس.
١٨/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، الإمام إسماعيل بن محمد العجلوني، ج٢، دار بن كثير.
١٩/ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان سنة ١٩٨٦م.
٢٠/ المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، دار الفكر العربي، الطبعة ٢،.
٢١/ مسند الإمام أحمد بن مسلم بن الحجاج، تحقيق أبو قتيبة، دار طيبة، الطبعة ٣، ٢٠٠٨م.
٢٢ / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار الساقي سنة ٢٠٠١م، الطبعة الرابعة.
٢٣/ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر سنة ٢٠٠٩م.
٢٤/ مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة (الحقوق السياسية والاجتماعية والشخصية للمرأة في المجتمع الإسلامي)، د.محمد بلتاجي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة مصر،الطبعة الأولى ٢٠٠٠.
٢٥/ الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار بن كثير.
٢٦/ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر بيروت، سنة ٢٠٠٣م، الطبعة الثانية،